تاريخ مدينة صنعاء

□ الاستاذ: محمد صبحي فرزان □

كتاب جديد الصدور (الطبعة الاولى سنة ١٩٧٤ م) قديم التاليف ـ مؤلفه : أبو العباس أحمد بن عبد الله الرازي « المنسوب الى الري ٠٠ ظنا » ـ الصنعاني ، المتوفي سنة ٤٦٠ ﻫ ١٠٦٨ م ـ قام على تحقيقه ، ووضع فهارسه الاستاذان : حسين عبد الله العمري ، وعبد الجبار زكار ، اللذان تعرفت عليهما في دمشق ـ ربيع سنة ١٣٩٦ ﻫ خلال فترة ، كنت فيها منتدبا من قبل (دارة الملك عبد العزيز) بمهمة تزويد مكتبة الدارة بالمصادر والوثائق التاريخية المعنية بأحوال الجزيرة العربية ، فلفت نظري هذا (الكتاب) الجديد في يد أحد محققيه الاستاذ زكار ، الذي تكرم بتقديمه لمكتبة مجلة (الدارة) عن طريقي ـ في ١٥ ـ ٣ ـ ١٩٧٦ ولما عدت الى «الرياض» وقدمت الكتاب لمن خص به ، كلفت بكتابة لمحة عنه لادراجها في المجلة ، التي تقدر مثل هذه الجهود المبذولة لاحياء تراثنا الخالد ، والذي نوه به الدكتور نبيه العاقل عميد كلية الآداب بجامعة دمشق ، ورئيس قسم التاريخ ، في تقديم الكتاب ٠٠ فقال :

هذا كتاب جديد آخر يخرج من ظلمة القرون الى نور الحياة يبعثها فيه محققان شابان ، يدخلان ميدان خدمة التراث مدخلا يبشر بالامل ويبعث على الاعتزاز ٠

وقد عرفنا الدكتور عاقل ٠٠ بمؤلف الكتاب فقال : انه الشيخ الامام الحافظ المحدث عاش في القرن الخامس للهجرة ٠٠ القرن الذي اشتهر أهله بتوق شديد الى الماضى ٠٠ والانقطاع الى البحث ، والدرس والتاليف ، واعمال النظر فيما سلف ، من مجد أمتهم وأبناء جلدتهم ٠

كما عرفنا بالكتاب ٠٠ بأنه « من كتب تواريخ البلدان التي قصد لها أن تكون موسوعة تتناول بالبحث كل مايخص بلدان وطننا العربي الاسلامي ٠٠ »

وأكد ذلك بما تناوله المؤلف في مقدمته عن مؤلفه الذي ذكر فيه « قدم صنعاء ، وفضلها وبناءها ، وعمارتها ، وأساسها ، وطيبها ، وطيب عيشها ، ونسيمها ، وما قيل فيها من الاشعار ، وما جاء فيها من الاخبار والآثار ، وما ذكرها الله تعالى به في القرآن الكريم ، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، وأمره ببناء مسجدها ٠٠ وذكر من قدمها من أصحاب رسول الله ، وذكر ولاتها ، وفضل أهلها الذين كانوا فيها من رواة العلم ، وأهل الدين ، والحلم ، والزهد ، والورع من المحدثين والأئمة الفضلاء ٠٠ »

وقال الدكتور عاقل : ان المؤلف قصد أن يكون كتابه سجلا لتاريخ وجغرافية ورجالات صنعاء واليمن ، ففيه ثروة من المعلومات التي تفيد الباحث في تاريخ العرب والاسلام ٠

وهو الذي انفرد به عمن سواه من المؤلفين ، واهتم بالتاريخ السياسي والاداري والحضاري والعمراني لليمن ، منذ عصر الرسول وحتى خلافة بني العباس ٠٠ والحديث عن الوجه الفكري والثقافي لليمن ٠٠

وقد خص طاووس بن كيسان الفقيه اليماني الشهير المتوفي زمن خلافة هشام بن عبد الملك .. بحديث مطول جدا فيه شرح مفصل لأخباره ، وأمثلة على علو كعبه في العلم والفقه والحديث .

كما « خص عطاء بن أبي رباح الفقيه والمحدث المشهور بحديث مماثل .. »

ومن « الشخصيات ذات الاصل اليماني التي يوليها المؤلف أهمية ، وهب بن منبه .. مما يجعل المرء يشعر بشدة تعصبه لصنعاء .. »

ويختم الدكتور عاقل تقديمه بالقول ، منوها بالجهد الكبير الذي بذله المحققان في ضبط النص ، ومقابلة نسخ المخطوط المتعددة ، ومعارضتها مع كتب الاصول المختلفة ، والاستعانة بالعديد من المصادر لتقويم ماغمض ، أو سد ماوقع من نقص .. وأن الحاقهما كشافين بالكتاب أحدهما لتراجم الرجال ، وثانيهما للتعريف بالاماكن الواردة قد يسر للقارىء استعمال الكتاب ، وجنبه العودة الى الحواشي التي تنقلها تلك التراجم والتعريفات .. والكتاب خطوة موفقة أخرى على درب معرفة أفضل لتاريخ هذا الجزء من وطننا العربي.

ومن خلال مقدمة التحقيق ، وفي صفحات .. نقرأ سطورا فيها تاريخ طويل .. مديد .. حافل بكل مايدل على التراث القديم ، وما بذل من أجل اخراجه الى عالم الوجود ، حتى اذا جاء ذكر تحقيق المخطوطات ونشرها ، قيل في المقدمة .. « وهل نهد الى هذا العمل الكبير من يفي بخطره وأهميته ؟

وهنا مال المحققان الى طرح لمحة خاطفة ـ ضئيلة ـ لاتتعدى السطور والقول : أن ماخرج من كتب محققة انها غيض من فيض .. (تجعل) ثمة مسؤولية كبيرة تنهض مستصرخة اعارة التراث قسطا أوفر من الاهتمام تحقيقا ونشرا ، اذ أن هوية الامة العربية واضحة في تراثها المخطوط ..

وأخيرا .. وجد المحققان نفسيهما يستكشفان بعض جوانب هذا الامر .. في عمل متواضع من عمل العاملين فيه .. فاستعرضا شريحة

من شؤون التراث العربي وماضيه من تاريخ اليمن ، فوقفا على كتاب ، تاريخ مدينة صنعاء للرازي ·· وعزما على نشره محققا ، فوجداه نموذجا عجيبا من عمل الدهر ، وعبث النساخ من تصحيف وتحريف واسقاط ، في حين أن الكتاب لم يقدم على تحقيقه أونشره حتى الآن أحد رغم اهميته التي تتأتى من غزارة علم مؤلفه وسمة الموضوعية التي يتحلى بها في تدوينه ·

وقد تناول المحققان ·· المؤلف وعصره ، وصنعاء في زمنه ، وشيوخه ومن لقيهم وأخذ عنهم ، ومصادر ثقافته ، وكتابه الذي يعتبر الكتاب الوحيد المعروف حتى الان عن تاريخ هذه المدينة منذ الاسطورة في التأسيس الى زمن المؤلف ·· (القرن الخامس للهجرة) ·

والكتاب كما يصفه المحققان يشبه كتب البلدان المماثلة التي الفت في تواريخ البلدان الا انه اكثر ايجازا واقل استيفاء في تراجم الرجال ·

أما ذكره لبعض الحوادث السياسية ، فقد ياتي بشكل عارض غير مقصود بذاته لان المؤلف لم يكن له أي اهتمام الا بالعلم ورجاله وبمن له الفضل في هذا الميدان من قومه ·

وقد انفرد المؤلف بكثير من التراجم اليمنية لم تعرف عند غيره ، كما انفرد ببعض الاخبار ، ونقلت عنه وحده ـ على الاغلب ـ وأصبح كتابه مصدرا لمؤرخين لاحقين ·

والكتاب مليء بالروايات والاحاديث ·· وأما منهج المؤلف في كتابه ، فقد رسمه في مقدمته بتحديده المواضيع التي سيتناولها ، وقد اعتمد أسلوب المحدثين ومنهاجهم طريقا في نقل الخبر والرواية ، أو الحديث ·· وهو أسلوب له قواعده وأصوله التي تميز بها التراث الاسلامي ، واستخدمها المؤرخون العرب الاوائل ، والمؤلف يضيف مشاهداته ومعلوماته الخاصة ، فيؤكد خبرا أو ينفي آخر ·

وتناول المحققان (مخطوطات الكتاب) ومنهج التحقيق الذي انتهجاه على ٤ نسخ مخطوطة من الكتاب في :

١ ـ الامبروزيانا .. وأيا صوفيا .. وكمبردج .. وصنعاء .. المتفقة في المقدمة والنهاية ، والمختلفة بعضها عن بعض في ترقيم التجزئة .

٢ ـ في باريس .. التي انفردت بالقول في المقدمة بانها الجزء الثاني من الكتاب .

٣ ـ في حيدر آباد ..
٤ ـ في بودليان ..

وقد جاء فيهما أن كتابهما .. الجزء الثالث ..

وأتيا على بيان مفصل لكل النسخ المخطوطة الموجودة في العالم ، في لندن واستانبول وباريس والاسكندرية ونابولي وأمريكا وحيدر آباد وصنعاء الخ .. بأوصافها التامة .. وقالا : بانه كان على رأسها في التحقيق نسخة باريس لدقة ناسخها ولقلة الاخطاء وندرة السقط فيها وهي مخطوطة سنة ٩٩٥ هـ ثم النسخ الاخرى في حيدر أباد .. وأيا صوفيا (سنة ٩٦٧ هـ) والاسكندرية (سنة ٩٩٣ هـ) ومكتبة الامبروزيانا (سنة ١٢٢٢) هـ

واستأنسا في التحقيق بنسخ خاصة في صنعاء أقدمها تاريخا (سنة ١١٣٣ هـ) ونسخة في مكتبة « بودليان » ـ اكسفورد ـ ونسختان .. الاولى خاصة : ملفقة كتبت باكثر من خط ، ولم يجدا فيها ثمة فائدة كبيرة تلتمس فيها . والثانية : نسخة كمبردج .. مخطوطة سنة ١٠٩٥ هـ وغيرها ..

وقد لاحظا التشابه بين نسخة باريس ، ونسخة الاسكندرية ، كما لاحظا التشابه الكبير بين نسخ حيدر آباد ، آيا صوفيا ، الامبروزيانا .. وقد تكون هذه الثلاثة أخذت كل واحدة عن صاحبتها أو هي أخذت جميعها من أصل واحد .

ونوه المحققان بما قدمه معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية في امداده لهما بما لديه من الاشرطة المصغرة « الميكروفيلم » لبعض النسخ .

والذي يقرأ مقدمة المحققين وما يليها من ثبت يدعم موضوعات الكتاب ، يدرك مبلغ الجهد المبذول منهما ، لاخراج هذا الكتاب في ٦٤٧ صفحة (ضمت ٤٥٤ صفحة وهي أصل الكتاب المخطوط) ، كما ومن يطلع على بعض الصفحات وفيها رسوم المخطوطات : ١ ـ باريس ٢ ـ حيدر آباد ٣ ـ الامبروزيانا ٤ ـ أيا صوفيا ٥ ـ الاسكندرية ٦ ـ بودليان ·· يشعر بعظمة هذا الجهد ·· الذي استوقفنا فيما ادرج في الكتاب تحت عنوان : (استدراكات وتصويبات) والقول بان المحققين لم يخرجا هذا الكتاب حتى اطلعا عليه : ١ ـ العلامة المحقق الاستاذ حمد الجاسر ٢ ـ المؤرخ الاستاذ القاضي محمد بن علي الاكوع فتفضلا بالتعرف على الكتاب حين طباعته وبذلا جهدا حميدا في تتبع بعض مسائله ، وكشفا عن مشكلات خفي « عنهما » حلها ، فسجلا على (ماعملاه) استدراكات مفيدة وتصويبات هامة (أضافاها) الى ماتنبها اليه بعد طباعة الكتاب من « أوهام » كانا قد وقعا فيها أثناء التحقيق لاضطراب النسخ ·· ولذلك « رأيا » من المفيد في حسن اخراج الكتاب أن (يلحقا) به المستدرك ··

وجاء كشاف الاعلام ص ٤٦٣ ـ ٥٥٠ وكشاف المواضع ص ٥٥٣ ـ ٥٧٩ ثم الفهارس العامة للآيات القرآنية الكريمة ، والاحاديث النبوية الشريفة ص ٥٨٥ ـ ٥٩٩ ثم الشعر ، والاقوام والشعوب والقبائل والارهاط ، والكتب المذكورة في متن الكتاب ، ومصادر ومراجع التحقيق ص ٦٠٣ ـ ٦٣١ وصورة الخريطة لمدينة صنعاء الموضوعة في العهد العثماني ـ التركي سنة ١٢٩١ هـ والصور لبعض المناظر ··

كل ذلك يجعل من الكتاب ·· كتابا جديرا بالاقتناء والمتابعة حريا بالافادة منه في مجالات البحث والمعرفة ومثل هذا يفرض علينا اعلان الشكر والتقدير للمحققين الكريمين وفقهما الله وهيأ لهما تراثا آخر يقومان على تحقيقه لاغناء المكتبة العربية بما ينقصها ويزيد في أهميتها ومكانتها ، وفق الله تعالى العاملين الجادين المخلصين ، وأثابهما على جهودهما شكرا وحمدا مذكورا ·